رسالة لشيخ الإسلام

تقي الدين بن تيمية

أجاب فيها عن أسئلة في علم القراءات

حققها وقدم لها

الدكتور محمد علي سلطاني

■ الدكتور محمد علي سلطاني .

■ المولود عام ١٣٤٣هـ - ١٩٣٣م - في مدينة دمشق .

■ تلقى تعليمه الأولي فى دمشق .

■ حصل على الشهادة الجامعية من جامعة دمشق في كليتي الآداب والتربية .

■ عمل بعد حصوله على الدكتوراه مدّرساً في جامعتي دمشق واللاذقية وغيرهما، وعمل بعد وقبل حصوله على الماجستير مدرساً في المعهد العلمي ببريدة وحفر الباطن، وهـو الآن يدرس النحـو في كليات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

■ إنتاجه العلمي يدور فى ميدان اللغة العربية وما يتصل بها . صدر له حتى الآن ما يزيد على عشرة كتب اثنان في النقد القديم أحدهما تحقيق، واثنان في البلاغة، وواحد في العروض، واثنان في النحو أحدهما تحقيق، وثلاثة في اللغة تحقيق، وأسهم في أعمال علمية منها إصدار سلسلة لغوية بعنوان دليل الباحث اللغوي، إضافة إلى بعض البحوث في القراءات القرآنية من جانب النحو.

(رسالة لشيخ الإسْلام : تقي الدّين بن تيميْة)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد

فإن القراءات القرآنية من أكثر علوم القرآن والعربية أهمية وأجلها شأناً . .

أما أهميتها من حيث اللغة فتعود إلى جانبين كبيرين:

- أولهما ماتقدمه للباحثين في نشأة اللغات وتطورها وتاريخها من الظواهر اللغوية الحية على اختلاف صنوفها: في الحرف والصوت والكلمة والتركيب . .

- وثانيهما ماتُقدمه للنحو وفقه اللغة من الشواهد والنماذج مما لايبلغ بعضَ شأوه شواهد العربية الأخرى: في الشعر والخُطب والأمثال والأقوال . . وذلك بسبب مما حظيت به القراءات منذ نشأتها من عناية وضبط وتوثيق . . بالتلقي المتثبت، والمشافهة الواعية، والرواية المتواترة أو النقل المستفيض، والتدوين المقرون بالوصف الدقيق والأسانيد المدروسة الموثوقة . .

وأما رفعة شأنها فلارتباطها بالقرآن العظيم، منهاج المتقِّين، ومعراج المرتقين، مصداقاً لقوله عليه الصلاة والسلام: **«خيركم مَن تعلم القرآن وعلمه»**(1)

غير أن هذا الميدان الجليل، بما اتّسم به من الغنى اللغوي الفريد ـ نتيجة التيسير الذي عبر عنه الحديث النبوي **«أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرأوا ماتيسّر منه»**(2) ـ أثار قدراً غير قليل من القضايا التي ارتبطت بعلم القراءات، وغدت مع الزمن أقرب إلى المشكلات، فشغلت العلماء والباحثين عبر القرون(3) ـ ومايزال بعضها يشغلهم ـ للوصول إلى المعرفة اليقينية بشأنها . . من ذلك قولهم: ماتفسير الأحرف السبعة؟ أهي للتكثير أم للتحديد؟ وإن كانت الأخيرة فما المقصود بها على الدقة أهي القبائل أم الطرائق أم الظواهر؟

---

(1) رواه البخاري في صحيحه (١٠٨/٦).

(2) رواه البخاري في صحيحه ١١١/٦.

(3) من ذلك على سبيل المثال القريب «منظومة في أربعين مسألة من المسائل المشكلة» لابن الجزري ت ٨٣٣هـ. فهرس المخطوطات والمصورات في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ص ١٦٤.

مامدى شيوع التواتر بين القراءات. أهو مقصور على السبع أم العشر أم ما فوق ذلك؟

أهي سواء في الفصاحة أم أن بينها فصيحاً وأفصح؟ ماموقف النحو والقياس من هذا التفاوت في الفصاحة؟..

هذه وغيرها أسئلة كثيرة تتردد بينهم لاتفتر، تبحث لها عن الجواب الأخير.

وقد أحدث اختلاف القراءات[٤] وتعددها حركة علمية مباركة، أسفرت عن أعداد من مجموعات الكتب القيمة.. بدأت بكتبٍ جمعت القراءات، فأخرى نهضت بالاحتجاج لها بلغة العرب، وثالثة وَصَفت مرسوم مصاحف الأمصار، ورابعة اهتمت بالنقط والشكل.. وبقي في الميدان زوايا يلفها بعض الغموض والاختلاف وتباين الآراء، مما تُعدّ رسالة شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الآتي نصُّها ـ حلقة في سلسلة الردود على تساؤلات الباحثين عن الحقيقة، حيث أجاب فيها عن عدد من هذه التساؤلات.

أما الرسالة فهي واحدة مما تضمه مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض من نفائس المخطوطات. وتقع في سبع صفحات تضمها أربع ورقات ضمن مجموع يحمل رقم ٣٦٥٣/ف مصور عن الأصل في مكتبة تشستربتي، كتبه بخط نسخي دقيق علي عبدالله الغزي سنة ٨٥٩هـ.

ومما يُعدّ نسخة قيمة أخرى لهذا النص؛ ماتم نشره بعنوان (فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية) جـ ١٣/٣٨٩ ـ ٤٠٤ فقد ضم الفاضل الشيخ عبدالرحمن العاصمي هذا النص إلى الكتاب بوصفه إحدى الفتاوى التي صدرت عن شيخ الإسلام آنذاك.. وقد أفدت منه في تصويب المواضع التي تأثرت بالرطوبة في الأصل لدي.

---

(٤) لعل كلمة (اختلاف) أوسع كثيرًا من واقع الأمر «فهي كلها متفقة المعاني وإن اختلف بعض حروفها» كما يقول صاحب المرشد الوجيز ص ١٣٥.

ولم يذكر الشيخ العاصمي مصادره، غير أن الاختلاف الطفيف في بعض ألفاظ النصين يُثبت أنه نسخة أخرى لهذه الرسالة، مما تجد ثماره وأثره في المتن وبعض حواشي التحقيق.

ومما يُعدّ طرفاً في هذا التوثيق نُقول مطوّلة لمقاطع تامة من هذا النص، احتج بها ابن الجزري ـ مقرونة بنسبتها إلى ابن تيمية ـ في كتابه (النشر في القراءات العشر ٣٩/١ ومابعدها) مما تجد الإشارة إليه في مواضعه بعد.

وتبدأ الرسالة بالبسملة والدعاء فالنص على الأثر ـ بلا عنوان يتقدمه ـ ولاضير في هذا، لأن النص نفسه وماورد فيه من عبارات صريحة ـ أدلة ناصعة على صحة نسبته إلى الشيخ الإمام ابن تيمية، مما يطالع القارىء منذ السطور الأولى.

وقد لقيتْ هذه الرسالة من عناية العلماء عبر القرون مايبدو أثره في الخاتم الرابض في نهايتها، وجاء في نقشه للواقف مانصه:

«وقف سيد يوسف فضل الله، إمام جامع سلطان محمد خان، للولاة وللمدرّسين المتأهلين، في جامع المزبور ١١٤٥».

أما مؤلف الرسالة فغنيّ عن التعريف، فهو أبرز قوة فاعلة في صياغة الحياة في دولة المماليك في القرن الثامن الهجري، بميادينها: العلمية والفكرية والعامة.. مما تجده مبسوطاً في مظانّه، وتؤكده مئات الكتب والرسائل التي كتبها بخطه ـ في معالجة قضايا عصره، رافعاً بقوة صوت الدين وموقفه منها ـ مما يتأبّى على الحصر[٥] «فكان إذا سُئل عن فن من العلم، ظن الرائي والسامع أنه لايعرف غير ذلك الفن، وحَكَم أن أحداً لايعرف مثله»[٦].

ومات رحمه الله معتقلاً بقلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ فخرجت دمشق كلها في جنازته[٧] رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

---

(٥) انظر للإحاطة بمؤلفاته وميادينها: ماأورده ابن قدامة في كتابه: (العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية) ص٢١ ومابعدها.

(٦) المصدر السابق ص ٧.

(٧) الأعلام ١/١٤٠ ومصادره.

النص المحقق

(١/أ) بسم الله الرحمن الرحيم. ربّ يسّر

مايقول سيدي الشيخ ـ جمع الله له خير الدنيا والآخرة ـ في[٨] قول النبي ﷺ: **«أنزل القرآن على سبعة أحرف»**[٩]

- ماالمراد بهذه السبعة؟
- وهل هذه القراءات المنسوبة إلى نافع[١٠] وعاصم[١١] وغيرهما هي الأحرف السبعة أو واحد منها؟
- وما السبب الذي أوجب الاختلاف بين القراء فيما احتمله خط المصحف؟
- وهل تجوز القراءة برواية الأعمش[١٢] وابن محيصن[١٣] وغيرهما من القراءات الشاذة أو، لا[١٤]
- وإذا جازت القراءة بها، فهل تجوز الصلاة بها أو، لا؟

أفتونا مأجورين.

---

(٨) من هنا يبدأ النص في (الفتاوى ١٣/٣٨٩) (بقوله: «وسئل عن قول النبي ﷺ..».

(٩) رواه البخاري في صحيحه ٦/١٠٠ في باب خاص به، وكذا في ٦/١١١ مقروناً بخبره.

(١٠) أحد القراء السبعة في المدينة المنورة، واسمه نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم الليثي، مولاهم. أخذ القراءة عن عبدالرحمن بن هرمز وشيبة بن نصاح وغيرهما. ت١٦٩هـ. [غاية النهاية (٣٧١٨) ١/٣٣٠].

(١١) أحد القراء السبعة في الكوفة، واسمه عاصم بن بهدلة أبي النجود الأسدي، مولاهم. قرأ على أبي عبدالرحمن السلمي، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بعده في الكوفة. ت١٢٧هـ على خلاف. انظر غاية النهاية (١٤٩٦) ١/٣٤٦.

(١٢) أحد القراء الأربعة الشواذ، اسمه سليمان بن مهران أبومحمد الأسدي الكاهلي، مولاهم الكوفي. إمام جليل، قرأ على عاصم وقرأ عليه حمزة. عاش بين سنتي ٦٠ ـ ١٤٨هـ [غاية النهاية (١٣٨٩) ١/٣١٥].

(١٣) أحد القراء الأربعة الشواذ، اسمه محمد بن عبدالرحمن بن محيصن السهمي، مولاهم مقرىء أهل مكة مع ابن كثير، كان له اختيار على مذهب العربية، فرغب الناس عن قراءته وأجمعوا على قراءة ابن كثير لاتّباعه. ت بمكة ١٢٣هـ. [غاية النهاية (٣١١٨) ٢/١٦٧].

(١٤) في الأصول (أم لا) سهو من الناسخ في الموضعين. وصوابه ماأثبت، لأن (أم) المتصلة لاتأتي إلا بعد إحدى همزتين: همزة التسوية أو همزة استفهام يراد بها وبأم تعيين المستفهم عنه. انظر كتاب سيبويه ١/٤٨٣، ٤٨٨.

أجاب (الشيخ تقي الدين بن تيمية)[١٥]

الحمد لله رب العالمين. هذه مسألة كبيرة، فقد تكلم فيها أصناف العلماء: من الفقهاء والقراء وأهل الحديث والتفسير والكلام وشرح الغريب وغيرهم[١٦] حتى صُنّف فيها التصنيف المفرد. ومن آخر ما أُفرد في ذلك ماصنفه الشيخ أبومحمد عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الشافعي المعروف بأبي شامة[١٧] صاحب شرح الشاطبية.[١٨]

فأما ذكر أقاويل الناس وأدلتهم وتقرير الحق فيها مبسوطاً؛ فيحتاج من ذكر الأحاديث الواردة في ذلك وذكر ألفاظها وسائر الأدلة - إلى ما لايتسع له هذا المكان.. ولايليق بمثل هذا الجواب، ولكن نذكر النكت الجامعة التي تنبِّه على المقصود بالجواب، فنقول:[١٩]

لانزاع بين العلماء المعتبرين بأن الأحرف السبعة التي ذكر النبي ﷺ أن القرآن أنزل عليها - ليست هي قراءات القراء السبعة المشهورة، بل أول من جمع قراءات

---

(١٥) مابين القوسين ليس في الفتاوى.

(١٦) حتى قال القرطبي في مقدمة تفسيره ١/٤٢ «وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً» اختار منها القرطبي خمسة..

(١٧) في الفتاوى «بابن أبي شامة» وهو لقب أبيه. ففي غاية النهاية ١/٣٦٥ لابن الجزري قوله «وقيل له أبو شامة لأنه كان فوق حاجبه الأيسر شامة كبيرة» وهو أحد أبرز علماء دمشق في القرن الهجري السابع (ت ٦٦٥هـ) قرأ على السخاوي علم الدين، وألف في فنون عدة. أما كتابه الذي أشار إليه الإمام ابن تيمية فهو (المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز) ويتضح فيه اهتمام المؤلف بتفسير حديث الأحرف السبعة وبيان صلته بالقراءات السبع، فكأنما ألفه لهذا. انظر [طبقات الشافعية ٥/٦١ وغاية النهاية (١٥٥٨) ١/٣٦٥ والمرشد الوجيز ص ٦ ومابعدها].

(١٨) الشاطبية منظومة لامية في القراءات تضم ١١٧٣ بيت على الطويل، نُسبت إلى ناظمها القاسم بن فيُّره الشاطبي الأندلسي (ت بالقاهرة ٥٩٠هـ) نظم فيها كتاب التيسير في القراءات السبع، لمؤلفه أبي عمرو الداني ت ٤٤٤هـ مصرِّحاً بذلك في البيت الثامن والستين بقوله:

وفي يُسْرِها «التيسير» رُمْتُ اختصاره   فأجْنَتْ بعون الله منه مؤمَّلا

وسماها (حرز الأماني ووجه التهاني) ط. أما شرح أبي شامة لها فهو المسمى (إبراز المعاني من حرز الأماني).

(١٩) أورد ابن الجزري جواب الإمام ابن تيمية بتصرف وتلخيص في كتابه منجد المقرئين ص٢٨ ومابعدها، وجاء في مطلعه أن السائل هو أبوحيان النحوي (ت٧٤٥هـ)..

هؤلاء هو الإمام أبوبكر بن مجاهد[٢٠] وكان على رأس المئة الثالثة ببغداد، فإنه أحب أن يجمع المشهور من قراءات: الحرمين والعراقين والشام، إذ هذه الأمصار الخمسة [هي][٢١] التي خرج منها علم النبوة: من القرآن وتفسيره، والحديث،[٢٢] والفقه في[٢٣] الأعمال الباطنة والظاهرة، وسائر العلوم الدينية.

فلما أراد ذلك، جمع قراءات سبعة مشاهير من أئمة قراء هذه الأمصار، ليكون ذلك موافقاً لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن[٢٤]، لا لاعتقاده أو اعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبع[٢٥] هي الحروف السبعة، أو أن هؤلاء السبعة المعينين هم الذين لايجوز أن يُقرأ بغير قراءتهم.

ولهذا قال من قال من أئمة القراء: لولا أن ابن مجاهد سبقني إلى حمزة[٢٦]؛ لجعلت مكانه يعقوب الحضرمي[٢٧] إمام جامع البصرة، وإمام قُرّاء البصرة في زمانه في رأس المئتين.[٢٨]

---

(٢٠) أحمد بن موسى بن العباس البغدادي. يلقب بشيخ الصنعة، وهو أول من سبّع السبعة في كتابه المشهور (السبعة في القراءات) وقد ذاعت شهرته في عهده وازدحمت حلقته. (ت ٣٢٤هـ) انظر غاية النهاية (٦٦٣) ١/ ١٣٩ ومابعدها.

(٢١) إضافة من (ف) ليست في الأصل.

(٢٢) في الأصل (من الحديث) وبالواو عبارة (ف).

(٢٣) في (ف) «من الأعمال» ورجحت عبارة الأصل.

(٢٤) مما أوهم العامة أنه جمع الأحرف السبعة.. فبادر علماء القراءة إلى جمع القراءات الست والثماني والعشر وغيرها لإزالة هذا الوهم. وفي النشر ١/ ٤٣ لعبدالرحمن الرازي قوله: «إن الناس إنما ثمنوا القراءات وعشّروها وزادوا على عدد السبعة الذين اقتصر عليهم ابن مجاهد ـ لأجل هذه الشبهة.. وإني لم أقتف أثرهم تثميناً في التصنيف أو تعشيراً أو تفريداً ـ إلا لإزالة هذه الشبهة». وأضاف صاحب المرشد الوجيز ص (١٥٢) قوله وكذلك زاد الطبري في (كتاب القراءات) له على هؤلاء السبعة نحو خمسة عشر رجلاً.

(٢٥) في الأصل و(ف) «السبعة» سهو من النساخ..

(٢٦) أحد القراء السبعة، واسمه حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات، أبوعمارة الكوفي التيمي، مولاهم. قرأ عليه الكسائي أحد السبعة. عاش بين سنتي ٨٠ ـ ١٥٦هـ [غاية النهاية (١١٩٠) ١/ ٢٦١].

(٢٧) أحد القراء العشرة. روى حرف أبي عمرو بالإدغام، وسمع الحروف من الكسائي ت٢٠٥هـ [غاية النهاية (٣٨٩١) ٢/ ٣٨٦ ومابعدها].
ونقل أبوشامة عن شيخه السخاوي علة سلوك ابن مجاهد حيال يعقوب بقوله: «وقراءة يعقوب خارجة عن غرض ابن مجاهد لنزول الإسناد، لأنه قرأ على سلام بن سليمان، وقرأ سليمان على عاصم، ولما فيها من الخروج عن قراءة العامة». انظر المرشد الوجيز ص ١٦١.

(٢٨) احتج ابن الجزري بهذا النص لابن تيمية في النشر ١/ ٣٩.

[و] لا نزاع بين المسلمين أن الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها لاتتضمن تناقض المعنى وتضادّه، بل قد يكون معناهما متفقاً أو متقارباً. كما قال عبدالله بن مسعود: (٢٩) «إنما هو كقول أحدكم: أَقْبِل وهلّم وتعال». (٣٠)

وقد يكون معنى أحدهما ليس هو معنى الآخر، لكن كلا المعنيين حقّ، وهذا اختلاف تنوّع وتغاير لا اختلاف تضادّ وتناقض. وهذا كما جاء في الحديث المرفوع عن النبي صلى (١/ب) الله عليه وسلم في هذا، حديث: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»: «إن قلت غفوراً رحيماً، أو قلت عزيزاً حكيماً فالله كذلك، مالم تختم آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة»(٣١) وهذا كما في القراءات المشهورة: (٣٢)

---

(٢٩) هذلي مكي من البدريين وأحد كبار علماء الصحابة. عرض القرآن على النبي ﷺ وكان يقول: حفظت من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة. ثم ترك مصحفه إلى مصحف عثمان بعد توحيد النص القرآني، وإليه تعود قراءة الكوفيين. ت بالمدينة ٣٢هـ. [غاية النهاية (١٩١٤) ١/٤٥٨ وانظر صحيح البخاري ٦/١٠٢].

(٣٠) أورده أبوشامة في المرشد الوجيز ص ٨٩.

(٣١) ورد في المرشد الوجيز ص ٨٧ باختلاف طفيف. مع ملاحظة أن ذلك محمول على مَن قرأ بالتلقي دون مَن قرأ بالتشهّي.

(٣٢) ورد هنا في (ف) ٣٩١/١٣ زيادة عما في الأصل قراءتهم في قوله تعالى: ﴿ربّنا باعِدْ وباعَدَ﴾ من سورة سبأ من الآية ١٩ ولم أثبتها لسببين:
أولهما مخالفتها لقراءاتهم فالوارد (عن ابن مجاهد ص ٥٢٩) أنهم قرأوها ﴿بَعِّدْ وباعِدْ﴾ فقرأ بالتشديد ابن كثير وأبو عمرو وبالألف بقية السبعة.
والثاني عدم افتقار الموقف إلى الشواهد، مما يرجح زيادتها من قبل النساخ.

﴿إلّا أن يَخافا ألّا يقيما﴾ و ﴿إلّا أن يُخافا ألّا يقيما﴾(٣٣)
و ﴿وإن كان مكرهم لَتَزُولُ ولِتَزُولَ منه الجبال﴾(٣٤)
و﴿بل عجبتُ﴾ و ﴿بل عجبتَ﴾(٣٥) ونحو ذلك.

ومن القراءات مايكون المعنى فيها: متفقاً من وجه، متبايناً من وجه.

كقوله:
﴿يَخْدعون﴾ و ﴿يُخادِعون﴾(٣٦)
و﴿يُكَذّبون﴾ و ﴿يكْذِبون﴾(٣٧)
و﴿لمستم﴾ و ﴿لامستم﴾(٣٨)
﴿حتى يَطْهُرْن﴾ و ﴿يَطَّهَّرْن﴾(٣٩)
ونحو ذلك.(٤٠)

---

(٣٣) اختلفوا في ضم الياء وفتحها في (يخافا) في سورة البقرة من الآية ٢٢٩. فقرأ حمزة وحده بالضم، وقرأ الباقون بالفتح. [السبعة ص ١٨٢]

(٣٤) اختلفوا في (فتح اللام الأولى وضم الثانية) و (كسر اللام الأولى وفتح الثانية) في (لتزول) في سورة إبراهيم ١٤ من الآية ٤٦ فقرأ الكسائي وحده (لَتَزولُ) وقرأ الباقون (لِتَزولَ). [السبعة ص ٣٦٣] ووردت في(ف) ٣٩١/١٣ «لتزول وليزول» ممايصوَّب بالتحقيق.

(٣٥) اختلفوا في ضم التاء وفتحها في (عجبت) في سورة الصافات ٣٧ من الآية ١٢ فقرأ حمزة والكسائي بضم التاء، وقرأ الباقون بفتحها. [السبعة ص ٥٤٧].

(٣٦) اختلفوا في ضم الياء وفتحها وإدخال الألف، في قوله تعالى: ﴿وما يخدعون إلّا أنفسهم﴾ في سورة البقرة ٢ من الآية ٩. فقرأ نافع وابن كثير وأبوعمرو ﴿يُخادعون﴾ وقرأ الباقون (يَخْدعون). [السبعة ص ١٤١].

(٣٧) وذلك في قوله تعالى في سورة البقرة ٢ من الآية ١٠ ﴿ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾. فقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بتشديد الذال وضم الياء، وقرأ الباقون وهم الكوفيون بفتح الياء وتخفيف الذال. وعلى هذا الأخير مصاحفنا القائمة. [السبعة ١٤٣].

(٣٨) اختلفوا في إدخال الألف وإخراجها من قوله تعالى: ﴿أولامستم النساء﴾ في سورة النساء ٤ من الآية ٤٣. فقرأ حمزة والكسائي بدون ألف، وقرأ الباقون بالألف. [السبعة ٢٣٤].

(٣٩) اختلفوا في (تخفيف الطاء وضم الهاء) و (تشديد الطاء وفتح الهاء) من قوله تعالى ﴿حتى يطهرن﴾ في سورة البقرة ٢٢٢/٢. فقرأ حمزة والكسائي بالتشديد، وكذا عاصم في رواية أبي بكر والمفضل. وهي بالتخفيف في رواية حفص كما في مصاحفنا القائمة، وكذا قرأ الباقون [انظر السبعة ص ١٨٢].

(٤٠) مما يسمى بفرش القراءات أو فرش الحروف «وهو الكلام على كل حرف في موضعه.. والقراء يسمون ما قلّ دوره من الحروف فرشاً» بخلاف الأصول «إذ ينسحب حكم الواحد منها على الجميع» انظر إبراز المعاني ص ٢٢٦.

فهـذه[41] القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حقّ، وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية، يجب الإيمان بها كلها، واتّباع ماتضمنته من المعنى علماً وعملاً، لايجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظناً أن ذلك تعارُض، بل كما قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «مَن كفر بحرف منه فقد كفر به كله». [42]

وأمـا ما اتحـد لفـظه ومعناه ـ وإنما يتنوع صفة النطق به: كالهمزات والمدّات والإمالات ونقل الحركات والإظهار والإدغام والاختلاس وترقيق اللامات والراءات أو تغليظها.. ونحو ذلك مما تُسمي القَرأةُ عامتَّه الأصول ـ فهذا أظهر وأبين في أنه ليس فيه تناقض ولاتضادّ مما تنوع فيه اللفظ أو المعنى.

إذ هذه الصفـات المتنوعة في أداء اللفظ لاتخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً، ولايُعدّ ذلك فيما اختلف لفظه واتحد معناه، أو اختلف معناه من المترادف ونحوه. ولهذا كان دخول هذا في حرف واحد من الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها؛ ممـا يتنـوع فيه[43] اللفظ أو المعنى وإن وافق رسم المصحف، وهو مايختلف فيه النقط[44] أو الشكل.

ولذلك لم يتنازع علماء الإسلام المتبوعون من السلف والأئمة فى أنه لايتعين أن يُقرأ بهذه القراءات المعينة في جميع أمصار المسلمين، بل مَن ثبت عنده قراءة الأعمش شيخ حمزة، أو قراءة يعقوب بن إسحاق الحضرمي ونحوهما، كما ثبت عنـده قراءة حمـزة والكسـائي ـ فله أن يقـرأ بهـا بلا نزاع بين العلمـاء المعتبرين المعدودين من أهل الإجماع والخلاف.

---

(41) في الأصل (وهذه) والتعديل من (ف).

(42) ورد النص في المرشد الوجيز ص ٨٦ وفيه (جحد) بدل (كفر).

(43) العبارة في (ف) ٣٩٢/١٣ «من أولى مايتنوع فيه».

(44) في الأصل (اللفظ) والتصويب من (ف).

بل أكثر العلماء الأئمة ـ الذين أدركوا قراءة [حمزة][٤٥] كسفيان بن عيينة[٤٦] وأحمد بن حنبل[٤٧] وبشر بن الحارث[٤٨] وغيرهم ـ يختارون قراءة أبي جعفر بن القعقاع[٤٩] وشيبة بن نِصاح[٥٠] المدنيين، وقراءة البصريين كشيوخ يعقوب بن إسحاق وغيرهم ـ على قراءة حمزة والكسائي. وللعلماء [الأئمة][٥١] في ذلك من الكلام ماهو معروف عند العلماء.

ولهذا كان أئمة أهل العراق الذين ثبتت عندهم قراءات العشرة أو الأحد عشر كثبوت هذه السبعة ـ يجمعون ذلك في الكتب، ويقرأونه في الصلاة وخارج الصلاة. وذلك متفق عليه بين العلماء لم ينكره أحد منهم[٥٢]

---

(٤٥) إضافة من (ف) سقطت في الأصل. ووردت كذلك فيما نقله ابن الجزري من هذا النص في النشر ١/ ٣٩.

(٤٦) إمام كوفي ثم مكي مشهور، روى القراءة عن ابن كثير، قال فيه الكسائي: مارأيت أحداً يروي الحروف إلا وهو يخطىء فيها إلا ابن عيينة. ت ١٩٨هـ عن ثمانين عامًا. [غاية النهاية (١٣٥٨) ١/ ٣٠٨].

(٤٧) أحمد بن حنبل الشيباني الوائلي إمام المذهب، أخذ عنه الحديث الإمامان البخاري ومسلم. وثمة كتابان مطبوعان في مناقبه: قديم لابن الجوزي، وحديث لأبي زهرة ت ببغداد ٢٤١هـ [تاريخ بغداد ٤/ ٤١٢ ـ ٤٢٣ وابن خلكان ١/ ٦٣].

(٤٨) هو بشر المعروف بالحافي. من كبار ثقات الحديث، زاهد ورع من أهل مرو. سكن بغداد وتوفي بها سنة ٢٢٧هـ. ولابن الجوزي كتاب في أخباره [تاريخ بغداد ٧/ ٦٧ ـ ٨٠ وابن خلكان ١/ ٦٥].

(٤٩) أحد القراء العشرة، يزيد بن القعقاع المخزومي المدني، عرض القرآن على ابن عباس وأبي هريرة، روى عنه نافع أحد السبعة. توفي بالمدينة سنة ١٣٠هـ على خلاف. [غاية النهاية (٣٨٨٢) ٢/ ٣٨٢].

(٥٠) مقرىء المدينة مع أبي جعفر وقاضيها، عرض عليه من القراء السبعة نافع وأبوعمرو ت ١٣٠هـ على خلاف. [غاية النهاية (١٣٤٩) ١/ ٣٢٩].

(٥١) إضافة من (ف) سقطت في الأصل.

(٥٢) وذلك لعدم خروجه على رسم أحد المصاحف العثمانية، بدليل إنكاره بعد سطور قراءة ابن شنبوذ الخارجة عن المصحف.

وأما الذي ذكره القاضي عياض[٥٣] ومَن نقل (٢/أ) من كلامه من الإنكار على ابن شنبـوذ[٥٤] الذي كان يقرأ بالشواذ في الصلاة في أثناء المئة الرابعة، وجرت له قضية[٥٥] مشهورة ـ فإنما كان ذلك في القراءات الشاذة الخارجة عن المصحف كما سنبينه.

ولم ينكر أحد من العلماء قراءة العشرة، ولكن مَن لم يكن[٥٦] عالماً بها، أو لم تثبت عنده ـ كمن يكون في بلد من بلاد الإسلام بالمغرب أو غيره، ولم يتصل به بعض هذه القراءات ـ فليس له أن يقرأ بما لايعلمه منها، [فإن][٥٧] القراءة ـ كما قال زيد بن ثابت[٥٨] سُنّة يأخذها الآخر عن الأول.

كما أن ماثبت عن النبي ﷺ من أنواع الاستفتاحات في الصلاة، ومن أنواع صفة الأذان والإقامة وصفة صلاة الخوف وغير ذلك؛ كله حسن، يشرع العمل به لمن علمه.

وأما من علم نوعاً ولم يعلم غيره؛ فليس له أن يعدل عما علمه إلى مالم يعلم، وليس له أن ينكر على من علم مالم يعلمه من ذلك، ولا أن يخالفه، كما قال النبي ﷺ **«لاتختلفوا، فإن مَن كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»**.[٥٩]

---

(٥٣) اسمه عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي. عالم المغرب في وقته. من كتبه شرح صحيح مسلم، ولي قضاء سبتة ثم غرناطة وتوفي بمراكش ٥٤٤هـ وللمقّري كتاب مطبوع في سيرته (أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض). انظر وفيات الأعيان (٥١١) ٣/٤٨٣.

(٥٤) هو محمـد بن أحمد بن أيوب أبو الحسن البغدادي ت ٣٢٧هـ وصفه ابن الجزري بالثقة والصلاح والتبحر في القراءات. كان يرى جواز القراءة بالشاذ مما يخالف رسم المصحف الإمام، فعُقد له مجلس حضره الوزير ابن مقلة وجماعة من العلماء منهم ابن مجاهد، واستُتيب ابن شنبوذ بعد ضربه واعترافه. انظر غاية النهاية ٢/٥٢ ومابعدها.

(٥٥) في (ف) «قصة» وهي مرجوحة بما في الأصل.

(٥٦) العبارة في (ف) ١٣/٣٩٣ «ولكن من يكن عالماً بها» وهو سهو بدليل إبقاء الفعل مجزومًا. .

(٥٧) مطموس في الأصل أضيف من (ف) وهو كذلك في النشر ١/٤٠.

(٥٨) الأنصاري الخزرجي كاتب النبي وأحد الذين جمعوا القرآن في حياته ﷺ، ثم كتبه في المصحف لأبي بكر، ثم لعثمـان حين جهـزهـا إلى الأمصـار. عرض القـرآن على النبي ﷺ، وعـرض عليه عدد من الصحابة. ت ٤٥هـ على خلاف. [غاية النهاية[١٣٠٥] ١/٢٩٦].

(٥٩) رواه البخاري في صحيحه ٦/١١٦ باختلاف لفظي طفيف. وورد كذلك في المرشد الوجيز ص ٨٧ مقروناً بخبره.

وأما القراءة الشاذة الخارجة عن رسم المصحف العثماني، مثل قراءة ابن مسعود وأبي الدرداء[٦٠] رضي الله عنهما: ﴿والَّيل إذا يغشىٰ، والنهار إذا تَجلَّىٰ، والذَّكرِ والأنثىٓ﴾،[٦١] كما قد ثبت ذلك في الصحيحين.

ومثل قراءة عبدالله:[٦٢] ﴿فصيام ثلاثة أيَّام متتابعات﴾. وكقراءته: ﴿إنْ كانت إلا زَقْيَةً واحدة﴾[٦٣] ونحو ذلك فهذه إذا ثبتت عن بعض الصحابة فهل يجوز أن يُقرأ بها في الصلاة؟ [ذلك][٦٤] على قولين للعلماء ـ هما روايتان مشهورتان عن الإمام أحمد ـ وروايتان عن مالك:[٦٥]

- إحداهما يجوز ذلك، لأن الصحابة والتابعين كانوا يقرأون بهذه الحروف في الصلاة.
- والثانية لايجوز ذلك، وهو قول أكثر العلماء، لأن هذه القراءات لم تثبت متواترةً عن النبي ﷺ. وإن ثبتت فإنها منسوخة بالعرضة الآخرة. فإنه قد ثبت في الصحاح عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم، أن جبريل عليه السلام كان يعارض النبي ﷺ بالقرآن في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قُبض فيه عارضه به مرتين.[٦٦]

والعرضة الآخرة هي قراءة زيد بن ثابت وغيره، وهي التي أمر الخلفاء الراشدون أبوبكر وعمر وعثمان وعلي بكتابتها في المصاحف، وكتبها أبوبكر وعمر في خلافة أبي بكر في صحف أمر زيدَ بن ثابت بكتابتها.

---

(٦٠) اسمه عويمر بن زيد على خلاف في اسم أبيه ـ الأنصاري الخزرجي. أحد الذين جمعوا القرآن حفظاً على عهد النبي ﷺ. أقرأ الناس بدمشق وولي قضاءهم، ولما مات سنة ٣٢هـ خلفه ابن عامر أحد السبعة. [غاية النهاية (٢٤٨٠) ١/٦٠٦]

(٦١) في سورة الليل ٩٢ الآيات ١ ـ ٢ ـ ٣ وقراءة الجماعة على وفق خط المصحف ﴿وما خلق الذَّكر والأنثىٓ﴾ وانظر في المرشد الوجيز ص ١٥٤.

(٦٢) هو ابن مسعود نفسه.

(٦٣) بدل قوله تعالى ﴿صيحة واحدة﴾ في سورة يس ٣٦/٢٩ والزقية بمعنى الصيحة.

(٦٤) زيادة لربط العبارة ليست في الأصول.

(٦٥) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي المدني، إمام دار الهجرة وصاحب المذهب. أخذ القراءة عرضاً عن نافع. ت سنة ١٧٩هـ [غاية النهاية (٢٦٤٢) ٢/٣٥].

(٦٦) انظر صحيح البخاري ٦/١٠١.

ثم أمر عثمـان في خلافته بكتابتها في المصاحف وإرسالها إلى الأمصار، وجمع الناس عليها باتفاقٍ من الصحابة عليٍّ وغيره.

وهـذا النـزاع لابـد أن يُبْنى على الأصـل الـذي سأل عنه السائل، وهو أن القراءات السبع:[٦٧] هل هي حرف من الحروف السبعة أو، لا؟[٦٨]

فالـذي عليه جمهـور العلمـاء من السلف والأئمـة أنهـا حرف من الحروف السبعة. بل يقـولون: إن مصحف عثمان هو أحد الحروف السبعة، وهو متضمن للعرضة الآخرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل، والأحاديث (٢/ب) والآثار المشهورة المستفيضة تدل على هذا القول.

وذهب طوائف من الفقهاء والقراء وأهل الكلام إلى أن هذا المصحف مشتمل على الأحرف السبعة، وقرر ذلك طوائف من أهل الكلام كالقاضي أبي بكر بن البـاقـلاني[٦٩] وغيره، بنـاء على أنـه لايجوز على الأمة أن تهمل نقل شيء من الأحـرف السبعـة، وقـد اتفقـوا على نقل هذا المصحف الإمام العثماني وترك ماسواه، حيث أمر عثمان بنقل القرآن من الصحف التي كان أبوبكر وعمر كتبا القـرآن فيهـا. ثم أرسـل عثمان ـ بمشاورة الصحابة ـ إلى كل مصر من أمصار المسلمين بمصحف، وأمر بترك ماسوى ذلك. قال هؤلاء: ولايجوز أن يُنْهى عن القراءة ببعض الأحرف السبعة.

ومن نَصَر قول الأولين يجيب تارة بما ذكره محمد بن جرير[٧٠] وغيره، من أن القـراءة على الأحـرف السبعـة لم تكن واجباً على الأمة، وإنما كان جائزاً لهم

---

(٦٧) في الأصول (السبعة) بفعل النسّاخ.

(٦٨) في الأصول (أم لا) وانظر ماجاء في الحاشية (١٤).

(٦٩) اسمه عبدالله بن منصور بن عمران المعروف بابن الباقلاني. شيخ القراء ومسندهم بواسط في زمانه. عرض العشر على أبي العز القلانسي، وممن أخذ عنه العشر ابن الجوزي. أقرأ الناس أربعين عاماً، وتوفي سنة ٥٩٣هـ [غاية النهاية (١٩١٧) ١/٤٦٠].

(٧٠) أبو جعفر الطبري الآملي البغدادي، صاحب التفسير والتاريخ وغيرهما. قال الداني: صنف كتاباً في القراءات سماه الجامع (مفقود حتى الآن) وروى عنه ابن مجاهد. عاش بين ٢٢٤ ـ ٣١٠هـ. [غاية النهاية (٢٨٨٦) ٢/١٠٦].

مرخصاً لهم فيه، وقد جُعل إليهم الاختيار في أي حرف اختاروه. كما أن ترتيب السور لم يكن واجباً عليهم منصوصاً، بل مفوضاً إلى اجتهادهم. ولهذا كان ترتيب مصحف عبدالله على غير ترتيب مصحف زيد وكذلك مصحف غيره.

وأما ترتيب آي السور فهو منزل منصوص عليه. فلم يكن لهم أن يقدموا آية على آية في الرسم كما قدموا سورة على سورة، لأن ترتيب الآيات مأمور به نصاً، وأما ترتيب السور فمفوض إلى اجتهادهم، قالوا: فكذلك الأحرف السبعة. فلما رأى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف وتتقاتل إذا لم يجتمعوا على حرف واحد، اجتمعوا على ذلك اجتماعاً سائغاً ـ وهم معصومون أن يجتمعوا على ضلالة ـ ولم يكن في ذلك ترك لواجب ولافعل لمحظور.

ومن هؤلاء من يقول: إن الترخيص في الأحرف السبعة كان في أول الإسلام، لِما في المحافظة على حرف واحد من المشقة عليهم أولاً، فلما تذللت ألسنتهم بالقراءة، وكان اتفاقهم على حرف واحد يسيراً عليهم وهو أرفق بهم ـ أجمعوا على الحرف الذي كان في العرضة الآخرة، ويقولون: إنه نسخ ماسوى ذلك، وهؤلاء يوافق قولهم قولَ من يقول: إن حروف أُبَيّ بن كعب[(٧١)] وابن مسعود وغيرهما ـ مما يخالف رسم هذا المصحف ـ منسوخةٌ.[(٧٢)]

وأماَ من قال عن ابن مسعود: إنه يجوّز القراءة بالمعنى فقد كذب عليه. وإنما قال: «قد نظرت إلى القَرَأَة فرأيت قراءتهم متقاربة، وإنما هو كقول أحدكم: أَقبلْ وهلمّ وتعال. فاقرأوا كما عُلّمتم»[(٧٣)] أو كما قال.

---

(٧١) الأنصاري المدني، سيد القراء على الإطلاق. قرأ على النبي ﷺ قال: عرض عليّ النبي ﷺ القرآن وقال: أمرني جبريل أن أقرأ عليك القرآن.. قرأ عليه من الصحابة ابن عباس وأبو هريرة. ت سنة ٣٠هـ على خلاف. [غاية النهاية (١٣١) ١/٣١]

(٧٢) عقد مكي في كتابه (الإبانة عن معاني القراءات) باباً بعنوان «ما يُقبل من القراءات ومالا يُقبل» ردّ فيه كل قراءة لا توافق الرسم لمخالفة الإجماع. انظر الإبانة ص ٣٩ ومابعدها.

(٧٣) ورد النص لابن مسعود باختلاف طفيف في غاية النهاية ١/٤٥٩ وفيه «سمعت (القراءة) فوجدتهم متقارنين» بفعل النساخ ولم يخرجه التحقيق. وصوابه (القرأة) جمع قارىء و (متقاربين) بالباء لتستقيم العبارة ومعناها. فبين أقبل وهلمّ وتعال تقارب لاقِران. انظر السبعة لابن مجاهد ص ٤٧ والمرشد الوجيز ص٨٩.

فمن[٧٤] جوّز القـراءة بما يخرج عن المصحف مما ثبت عن الصحابة قال: يجوز ذلك لأنه من الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها.

ومن لم يجوّزه فله أربعة[٧٥] مآخذ:

- تارة يقول: ليس هو من الحروف السبعة.
- وتارة يقول: هو من الحروف المنسوخة.
- وتارة يقول: هو مما انعقد إجماع الصحابة على الإعراض عنه.
- وتارة يقول: لم يُنقل إلينا نقلاً يثبت بمثله القرآن.

وهذا هو الفرق بين المتقدمين والمتأخرين (٣/أ).

ولهذا كان في المسألة قول ثالث وهو اختيار جدي أبي البركات[٧٦] أنه: إن قرأ بهـذه القـراءات في القراءة الواجبة ـ وهي الفاتحة عند القدرة عليها ـ لم تصح صلاته، لأنه لم يتيقن أنه أدى الواجب من القراءة، لعدم ثبوت القرآن بذلك.

- وإن قرأ بهـا فيما لا يجب لم تبطل صلاته، لأنه لم يتيقن أنه أتى في الصلاة بمبطل، لجواز أن يكون ذلك من الحروف السبعة التي أُنزل عليها.

وهذا القول ينبني على أصل، وهو أنَّ ما لم يثبت كونه من الحروف السبعة، فهل يجب القطع بكونه ليس منها؟

فالـذي عليه جمهـور العلمـاء أنه لا يجب القطع بذلك، إذ ليس ذلك مما أوجب علينا أن يكون العلم به في النفي والإثبات قطعياً.

---

(٧٤) فى (ف) ثم من.

(٧٥) في الأصول (ثلاثة) خلاف ما أورد.

(٧٦) هو عبدالسلام بن عبدالله بن الخضر بن محمد بن علي بن تيمية، أبوالبركات مجد الدين الحراني. انتهت إليه رئاسة العلم فى زمانه. ولد بحران حدَّث بالحجاز والعراق والشام وتوفي بحران سنة ٦٥٢هـ. من كتبه المطبوعة (المنتقى فى أحاديث الأحكام).
انظر غاية النهاية (١٦٤٧) ١/٣٨٥ ومنجد المقرئين (الطبقة الحادية عشرة) ص٤١.

وذهب فريق من أهل الكلام إلى وجوب القطع بنفيه، حتى قَطَع بعض هؤلاء كالقاضي أبي بكر بخطأ الشافعي[٧٧] وغيره ممن أثبت البسملة [آية][٧٨] من القرآن في غير سورة النمل[٧٩] لزعمهم أنّ ماكان من موارد الاجتهاد في القرآن فإنه يجب القطع بنفيه.

والصواب القطع بخطأ هؤلاء، وأن البسملة آية من كتاب الله حيث كتبها الصحابة في المصحف إذا لم يكتبوا فيه إلا القرآن وجردوه مما ليس منه كالتخميس والتعشير وأسماء السور. ولكن مع ذلك لايقال: هي من السورة التي بعدها، كما [أنها][٨٠] ليست من السورة التي قبلها، بل هي كما كتبت ـ آية أنزلها الله في أول كل سورة وإنْ لم تكن من السورة. وهذا أعدل الأقوال الثلاثة في هذه المسألة.

وسواء قيل بالقطع في النفي أو الإثبات؛ فذلك لايمنع كونها من موارد الاجتهاد التي لا تكفير ولاتفسيق فيها للنّافي ولا للمثبت. بل قد يقال ماقاله طائفة من العلماء: إن كل واحد من القولين حق، وإنها آية من القرآن في بعض القراءات ـ وهي قراءة الذين يفصلون بها بين السورتين ـ وليست آية في بعض القراءات، وهي قراءة الذين يصلون ولايفصلون بها.[٨١]

وأما قول السائل: ما السبب الذي أوجب الاختلاف بين القراء فيما احتمله خط المصحف ؟

---

(٧٧) محمد بن إدريس بن العباس الهاشمي القرشي المطّلبي إمام المذهب. ولد في غزة وتوفي في القاهرة سنة ٢٠٤هـ كان شاعراً أديباً فقيهاً وعالماً. وثمة خمس دراسات مطبوعة في سيرته ومناقبه وكتابه (الأم) [وفيات الأعيان ١/٤٤٧ وطبقات الشافعية ١/١٨٥].

(٧٨) إضافة من (ف) سقطت في الأصل.

(٧٩) أراد بذلك قوله تعالى فى سورة النمل ٢٧ آية ٣٠ ﴿إنَّه من سليمان وإنَّه بسم الله الرّحمٰن الرّحيم﴾.

(٨٠) إضافة من (ف) سقطت في الأصل.

(٨١) كان ابن كثير وقالون وعاصم والكسائي يبسملون بين السورتين في جميع القرآن ـ ماعدا بين الأنفال وبراءة فلا أحد يبسمل فيه ـ وقرأ حمزة بالوصل بين كل سورتين بدون بسملة وقرأ الباقون وهم: ابن عامر وأبوعمرو وورش بالبسملة وبالسكت. انظر باب البسملة في متن الشاطبية وشروحها، وانظر التيسير ص١٧ ومابعدها.

فهذا مرجعه إلى النقل واللغة العربية لتسويغ الشارع لهم القراءة بذلك كله، إذ ليس لأحد أن يقرأ برأيه المجرد[٨٢]، بل القراءة سُنّة متبعة[٨٣] وهم إذا اتفقوا على اتّباع القرآن المكتوب في المصحف الإمام وقد [٨٤] أقرأ بعضهم بالياء وبعضهم بالتاء ـ لم يكن واحد منهما خارجاً عن المصحف.

ومما يوضح ذلك أنهم يتفقون فى بعض المواضع على ياء أو تاء، ويتنوعون في بعض. كما اتفقوا في قوله تعالى: **﴿وما الله بغافل عمَّا تعملون﴾**[٨٥] في موضع، وتنوعوا في موضعين[٨٦]

وقد بيّنا أن القراءتين كالآيتين، فزيادة القراءات كزيادة الآيات، لكن إذا كان الخط واحداً واللفظ محتملاً كان ذاك أخصر في الرسم، والاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب لاعلى حفظ[٨٧] المصاحف. كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال:

«إنّ ربي قال لي: قم في قريش فأنذرهم. فقلت: أي ربّ إذن يثلغوا رأسي[٨٨]، فقال: إني مبتليك ومبتل بك، ومنزل عليك كتاباً لايغسله الماء، تقرأه (٣/ ب) نائماً ويقظان. فابعث جنداً أبعث مثليهم، وقاتِلْ بمن أطاعك مَنَ عصاك، وأَنفقْ أُنفق عليك»[٨٩]

---

(٨٢) العبارة في (ف) «أن يقرأ قراءة بمجرد رأيه».

(٨٣) وقد توسع ابن الجزري في بيان هذه الحقيقة في الباب الأول من كتابه (منجد المقرئين). وهو موقف سيبويه من القراءات حيث يقول فى كتابه (بولاق ١/ ٧٤): «وقد قرأ بعضهم: ﴿وأما ثمودَ فهديناهم﴾ إلا أن القراءة لاتخالف، لأن القراءة السُّنّة». قلت: علماً بأن قراءة النصب هذه ليست سبعية متواترة (فصلت ٤١ من الآية ١٧).

(٨٤) الواو هنا للحال. أى اتفقوا متباينين.

(٨٥) سورة البقرة من الآية (٧٤).

(٨٦) انظر تفصيل ذلك ومواضعه في (السبعة ص ١٦٠) ومابعدها.

(٨٧) (حفظ) هذه ليست في (ف).

(٨٨) ثَلَغ رأسَه يَثْلَغُهُ ثَلْغاً شدخه.

(٨٩) رواه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ١٦٢ باختلاف لفظي طفيف.

فأخبر أن كتابه لايحتاج في حفظه إلى صحيفة تُغسل بالماء، بل يقرأه في كل حال، كما جاء في نعت أمته: «**أناجيلهم في صدورهم**»[٩٠] بخلاف أهل الكتاب الذين لايحفظونه إلا في الكتب ولا يقرأونه كله إلا نظراً، لاعن ظهر قلب.

وقد ثبت في الصحيح أنه جَمعَ القرآن كلَّه على عهد النبي ﷺ جماعةٌ من الصحابة: كالأربعة الذين من الأنصار،[٩١] وكعبدالله بن عمرو[٩٢] فتبين بما ذكرناه أن القراءات المنسوبة إلى نافع وعاصم.. ليست هي الأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها، وذلك باتفاق علماء السلف والخلف. وكذلك ليست هذه القراءات السبع[٩٣] هي مجموع حرف واحد من الأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها، باتفاق العلماء المعتبرين.

بل القراءات الثابتة عن أئمة القراءة كالأعمش ويعقوب وخلف[٩٤] وأبي جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح ونحوهم[٩٥] هي بمنزلة القراءات الثابتة عن هؤلاء السبعة، عند مَن ثبت ذلك عنده كما ثبت ذلك[٩٦]

وهذا أيضاً مما لم يتنازع فيه الأئمة المتبوعون من أئمة الفقهاء والقراء وغيرهم، وإنما تنازع الناس من الخلف في المصحف العثماني الإمام، الذي

---

(٩٠) الإنجيل عبري أو سرياني، يؤنث ويذكر حسب مراد القائل من صحيفة أو كتاب. انظر اللسان (نجل) وفيه نص الحديث النبوي.

(٩١) وهم: معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبوزيد قيس بن السكن وأبيّ بن كعب. انظر غاية النهاية ٢/٢٨.

(٩٢) عبدالله بن عمرو بن العاص السهمي. صحابي جليل، وأحد الذين جمعوا القرآن في حياة النبي ﷺ ت٦٥هـ على خلاف [غاية النهاية (١٨٣٥) ١/٤٣٩].

(٩٣) في الأصول (السبعة) بفعل النسّاخ.

(٩٤) أحد القراء العشرة، واسمه خلف بن هشام بن ثعلب الأسدي البغدادي. حفظ القرآن في سن العاشرة، سمع القرآن من الكسائي وضبط ذلك عنه. ت ببغداد ٢٢٩هـ.
[غاية النهاية (١٢٣٥) ١/٢٧٢ ومابعدها].

(٩٥) ممن هو من غير القراء السبعة.

(٩٦) يريد (كما ثبتت هذه السبع).

أجمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون لهم بإحسان والأمة بعدهم ـ (هل هو بما فيه من قراءة السبعة وتمام العشرة وغير ذلك، حرف من الأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها)؟(٩٧) أو هو مجموع الأحرف السبعة ـ على قولين مشهورين:

ـ الأول: قول أئمة السلف والعلماء.

ـ والثاني: قول طوائف من أهل الكلام والقراء وغيرهم.

وهم متفقون على أن الأحرف السبعة لايخالف بعضها بعضاً خلافاً يتضادّ فيه المعنى ويتناقض، بل يصدّق بعضها بعضاً كما تصدّق الآيات بعضها بعضاً.

وسبب تنوع القراءات فيما احتمله خط المصحف هو تجويز الشارع وتسويغه ذلك لهم، إذ مرجع ذلك إلى السنة والاتبّاع لا إلى الرأي والابتداع.(٩٨)

أما إذا قيل: إن ذلك هي الأحرف السبعة فظاهر، وكذلك بطريق الأَوْلَى إذا قيل: إن ذلك حرف من الأحرف السبعة. فإنه إذا كان قد سوغ لهم أن يقرأوه على سبعة أحرف كلها شاف كاف مع تنوع الأحرف في الرسم ـ فَلأَنْ يسوغ ذلك مع اتفاق ذلك فى الرسم وتنوعه في اللفظ أَوْلَى وأحرى.

وهذا من أسباب تركهم المصاحف ـ أولَ ماكُتبت ـ غير مشكولة ولا منقوطة، لتكون صورة الرسم محتملة للأمرين: كالتاء والياء، والفتح والضم. وهم يضبطون باللفظ(٩٩) كلا الأمرين، وتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين

---

(٩٧) مابين القوسين سها الناسخ في الأصل فأسقط بعض الكلام، فجاء النص فيه «هل هو بما فيه من القراءة السبعة التي . . » فانتقل بصره من (السبعة) الأولى الى (السبعة) الثانية. والتصحيح من النشر ١/ ٤١ والفتاوى. وجاء في (ف): «القراءات السبعة وتمام العشرة (كذا). . وصوابه ماأثبتّ، بمعنى: القراء السبعة.

(٩٨) دون أن تحجب هذه الحقيقة إمكانية الترجيح بينها، ففي القراءات الفصيح والأفصح. يقول الإمام القسطلاني في (لطائف الإشارات ١/ ١٧٠): «إن ترجيح بعض وجوه القراءات على بعض إنما هو باعتبار موافقة الأفصح أو الأشهر أو الأكثر من كلام العرب».
وانظر أيضاً: منجد المقرئين ص٦٥ وخزانة البغدادي ٢/ ٢٥٩.

(٩٩) أي بالنطق والأداء.

المنقـولين المسمـوعين المتلوّين ـ شبيهـة[100] بدلالـة اللفظ الـواحد على كلا المعنيين المنقولين المعقولين المفهومين .

فإن أصحاب رسول الله ﷺ تلقَوا عنه ماأمره الله بتبليغه إليهم من القرآن لفظه ومعناه جميعاً، كما قال أبوعبدالرحمن السلمي[101] ـ وهو الذي رَوَى عن عثمان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» كما رواه البخاري في صحيحه،[102] وكان يقرىء القرآن أربعين سنة قال :ـ

«حـدثنا الذين كانوا يُقرئوننا: عثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات، لم يجاوزوها حتى يتعلموا مافيها من العلم والعمل. . قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً»[103]

ولهـذا دخـل في معنى قولـه «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» تعليمُ حروفه ومعـانيه جميعـاً، بل تعليمُ معانيه هو المقصود الأول بتعليم حروفه، وذلك هو الذي يزيد الإيمان. كما قال جندب بن عبدالله[104] وعبدالله بن عُمر[105] وغيرهما:

«**تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيماناً، وإنكم تتعلمون القرآن ثم تتعلمون الإيمان**».

---

(١٠٠) في الأصول (شبيهاً)، والمراد الدلالة.

(١٠١) واسمه عبدالله بن حبيب، أول من أقرأ الناس بالكوفة بالقراءة المجمع عليها. أخذ القراءة عرضاً عن عثمان ابن عفان وعلي بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود وزيد بن ثابت وأُبيّ بن كعب، وإليه ترجع قراءة عاصم ابن أبي النجود الكوفي. وممن أخذ عنه القراءة عرضاً الحسن والحسين ت٧٣هـ [غاية النهاية (١٧٥٥) ٤١٣/١].

(١٠٢) ١٠٨/٦ وكان السلمي يقول بعد أن يروي هذا الحديث النبوي: «هذا الذي أقعدني هذا المقعد» انظر غاية النهاية ٤١٣/١ ـ ٤١٤.

(١٠٣) كذا أورد له الجزري في الموضع السابق من غاية النهاية حيث ترجم له، وزاد عليه.

(١٠٤) جندب بن عبدالله بن سفيان البجلي، ويقال له جندب الخير. كان على عهد النبي ﷺ فتى. سكن الكوفة والبصرة وروى عنه أهلهما. [الإصابة (١٢٢٣) ٢٤٨/١].

(١٠٥) عبدالله بن عمر بن الخطاب. وردت الرواية عنه في حروف القرآن. مكث على سورة البقرة ثماني سنوات يتعلمها. ت٧٣هـ [غاية النهاية (١٨٢٧) ٤٣٧/١].

وفى الصحيحين عن حذيفة(١٠٦) قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، رأيت أحدهما(١٠٧) وأنا أنتظر الآخر. حدثنا «أنّ الأمانة نزلت فى جذر قلوب الرجال، ونزل القرآن. . .»(١٠٨) وذَكَر الحديث بطوله، ولا تتسع هذه الورقة لذكر ذلك.

وإنما المقصود التنبيه على أن ذلك كله مما بلَّغه رسول الله ﷺ إلى الناس، وبلَّغنا أصحابه عنه: الإيمان والقرآن حروفه ومعانيه، وذلك مما أوحاه الله إليه. كما قال تعالى:

﴿وكذلك أوحينآ إليك روحاً مِّن أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نَّهدي به من نَّشآء من عبادنا﴾(١٠٩).

وتجوز القراءة في الصلاة وخارجها بالقراءات الثابتة الموافقة لرسم المصحف كما ثبتت هذه القراءات، وليست بشاذة حينئذ. والله أعلم بالصواب.(١١٠)

تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه في يوم الثلاثاء سادس عشرين جماد[ى] الأولى من شهور سنة تسع وخمسين وثمانمئة(١١١)

---

(١٠٦) حذيفة بن اليمان أبوعبدالله العبسي الملقب بصاحب السر لما كان رسول الله ﷺ يخصه به من الأحاديث والوقائع.. وتوفي بعد عثمان بأربعين يوماً سنة ٣٥هـ.
[الإصابة] (١٦٤٧) ١/٣١٧ وغاية النهاية (٩٣٨) ١/٢٠٣].

(١٠٧) أي رآه يتحقق.

(١٠٨) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الرقاق - باب رفع الأمانة) ٧/١٨٨ - ١٨٩.

(١٠٩) الشورى ٤٢ من الآية ٥٢.

(١١٠) (بالصواب) ليست في (ف).

(١١١) سطرا الختام ليسا في (ف).

مصادر البحث والتحقيق

★ الإبانة عن معاني القراءات. لمكي القيسي. تح د. محيي الدين رمضان.
دار المأمون للتراث بدمشق ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

★ إبراز المعاني من حرز الأماني لأبي شامة الدمشقي. البابي الحلبي بمصر ١٣٤٩هـ.

★ الإصابة في تمييز الصحابة. لابن حجر العسقلاني.
الطبعة الأولى - مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨هـ

★ الأعلام. للزركلي. الطبعة الثالثة.

★ تاريخ بغداد. للخطيب البغدادي. دار الكتاب العربي - بيروت.

★ تفسير القرطبي - مصورة عن طبعة دار الكتب.

★ التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني. تح أوتوبرتزل ط. استانبول ١٩٣٠م.

★ السبعة لابن مجاهد. تح د. شوقي ضيف
ط. الثانية - دار المعارف بالقاهرة ١٤٠٠هـ

★ الشاطبية. وشرحها للشيخ علي الضباع.
مكتبة صبيح بالقاهرة ١٣٨١هـ - ١٩٦١م

★ صحيح البخاري. مصورة الطبعة الأولى ١٣١٥هـ بمصر

★ صحيح مسلم بشرح النووي - المطبعة المصرية ومكتبتها

★ غاية النهاية في طبقات القراء. لابن الجزري. تح. برجستراسر. مصورة الطبعة الأولى ١٣٥١هـ - ١٩٣٢

★ كتاب سيبويه. مصورة طبعة بولاق.

★ لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني تح الشيخ عامر عثمان ود. عبدالصبور شاهين بالقاهرة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢.

★ لسان العرب لابن منظور. مصورة طبعة بولاق ١٣٠٠هـ

★ مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. جمع وترتيب عبدالرحمن العاصمي وابنه محمد.

مصورة الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ

★ المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز. لأبي شامة الدمشقي تح طيار آلتي قولاج ط. دار صادر - بيروت ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م

★ مسند الإمام أحمد. مصورة الطبعة الأولى. الميمنية بمصر ١٣١٣هـ

★ منجد المقرئين ومرشد الطالبين. لابن الجزري. مكتبة القدسي ١٣٥٠هـ.

★ النشر في القراءات العشر. لابن الجزري. تح الشيخ علي الضباع.

★ وفيات الأعيان لابن خلكان. تح د. إحسان عباس. دار الثقافة ببيروت.



■ الشيخ إسماعيل بن محمد بن ماحي الأنصاري . نسبة إلى أنصار النبي ﷺ .

■ ولد في صحراء إفريقية ١٣٤٠هـ .

■ تلقى العلم عن مشايخ أجلاء في تلك الديار، فقد قرأ القرآن بقراءة نافع مع حفظه على الشيخ محمد بن عبدالرحمن الأنصاري، وقرأ على الشيخ محمد بن تاني الأنصاري نصف رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وتلقى عن الشيخ حمد الأمين الأنصاري علم العقائد، وعلى الشيخ محمد الصالح الإدريسي قرأ في نحو الآجرومية وألفيةابن مالك وعلى الشيخ محمد بن هارون الإدريسي ـ خاله ـ كمل قراءة ألفيةابن مالك ـ وقرأ على الشيخ أحمد بن محمد الصالح كتاب الأشموني منهج السالك إلى ألفية ابن مالك ـ وتلقى عنه التوحيد ـ والشافية ـ لابن الحاجب في الصرف ـ وقرأ عليه أصول الفقه وعلم المنطق، وأخذ عن خاله الموفق المعلقات وفن البلاغة، وعلى الشيخ عبدالله المحمود المدني قرأ مصطلح الحديث كما قرأ عليه في التوحيد والتفسير والحديث الشريف .

■ هاجر إلى الحرمين الشريفين ووصل إلى مكة عام ١٣٦٩هـ واستقر فيها وعين مدرساً في المدرسة الصَّولتيه عام ١٣٧٠هـ وفي سنة ١٣٧٢هـ أخذ إجازة التدريس بالمسجد الحرام وفي سنة ١٣٧٤هـ انتدب للتدريس في المعهد العلمي بالرياض، ثم اختاره سماحة مفتي البلاد السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله ليقوم بالتدريس في مسجده، كما رغب أيضاً أن يدرس في معهد إمام الدعوة، وفي عام ١٣٨٢هـ صدر أمر سماحته بنقله إلى دار الإفتاء ليكون عضواً من أعضائها الذين يعتمدهم سماحته في تهيئة الفتاوى والمراجعات والمسائل الدقيقة .

■ كتب كثيراً من المقالات العلمية في صحف البلاد السعودية ومجلاتها ومقالاته النافعة تبلغ مجلدين إذا جمعت، ومن أهمها رسالته في الرد على الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في بدء الصيام بالحساب الفلكي، ورسالته في الرد على الشيخ عبدالله بن محمود رئيس محاكم قطر في منع التضحية عن الأموات فقد ساق فيها الأدلة الملزمة على جواز التضحية عنهم، ومن أهم رسائله رده على الألباني في دعواه تحريم الذهب المحلق على النساء .

■ مؤلفاته :

١ ـ الإلمام بشرح عمدة الأحكام في مجلدين طبع منه الجزء الأول ولايزال الثاني مخطوطاً .

٢ ـ التحفة الربانية بشرح الأربعين النووية وتكملتها للحافظ ابن رجب .

٣ ـ تصحيح حديث صلاة التراويح عشرين ركعة والرد على الألباني في تضعيفه .

٤ ـ الإرشاد في القطع بمقبول حديث الآحاد .

٥ ـ سند قصيدة «بانت سعاد» والتحقيق العلمي في رجاله، مطبوع .

٦ ـ تعقبات على «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» للألباني، لم يطبع .

٧ ـ رسالة في شأن الخضر عليه السلام لم تزل مخطوطة .

٨ ـ النبذة النحوية في الأسئلة والأجوبة النحوية .

■ حقق طائفة من الكتب العلمية الهامة وعلق عليها تعليقاً زادها فائدة وعلماً منها :

١ ـ الفقيه والمتفقه للحافظ الخطيب البغدادي في جزءين .

٢ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال .

٣ ـ الأعلام العلية في مناقب الشيخ ابن تيمية لأبى حفص البزار .

٤ ـ درجات الصاعدين إلى مقامات الموحدين .

٥ ـ العجالة السنية في شرح الألفية في السيرة النبوية للعراقي بشرح المناوي . ماتقدم طبع في الرئاسة العامة للإفتاء .

٦ ـ النهاية للحافظ ابن كثير وهي خاتمة كتابه البداية ـ في جزءين طبعته مؤسسة النور بالرياض .

٧ ـ تطهير الاعتقاد للصنعاني ـ طبعته مؤسسة النور أيضاً .

■ أشرف على طبع «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، وكتاب «الحيدة» لعبدالعزيز الكناني، وكتاب «الهداية» في فقه السادة الحنابلة للإمام أبي الخطاب محفوظ بن أحمد الكلوذاني .

■ هذا ومايزال فضيلته مرجعاً للعلم وأهله في الرئاسة العامة للإفتاء بالمملكة حيث يوكل إليه التحقيق والتعليق على بعض الأحاديث والآثار والمخطوطات والإشراف على بعض كتب التراث الهامة. وفضيلته أعطي شهادة علمية موقعة من سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد وفضيلة نائبه الشيخ عبدالرزاق عفيفي قرر فيها أنه من العلماء الأجلاء وأن مستواه العلمي يفوق مستوى كثير من حملة الشهادات العليا في الوقت الحاضر. نفع الله به وحقق على يديه الخير للإسلام والمسلمين.

